الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشّعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان –
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم اللغة العربية وآدابــها
شعبة الأدب المغربي القديم

ملخــص رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب الــمغربي القديـــم

تحت عنوان:

﴿أثر القرآن في الشعر الجزائري﴾

(ما بين القرنين السابع والثاني عشر الهجريين)

إعداد الطالب: عبد الصمد عزوزي
إشراف الأستاذ: أ.د. محمد زمري

جامعة تلمسان: 2009م.

للإجابة على هذه الأسئلة وغيرها، رأيت أن يكون موضوع بحثي بعنوان:{**أثر القرآن في الشعر الجزائري: ما بين القرنين السابع والثاني عشر الهجريين**}.

وقد قسّمته على الشكل التالي:

مقدمة: ذكرت فيه موضوع بحثي، وسبب إنجازه، ومنهاجه ومنهجيّته.

مدخل: تحدّث فيه عن الحياة العلمية والأدبية في الجزائر في الفترة المذكورة.

الفصل الأول: خصصته للحديث عن الشعر الجزائري، من حيث أغراضه وخصائصه.

الفصل الثاني: ابتدأته بالحديث عن القرآن الكريم، ثم أثره في البنية الشكلية للشعر الجزائري.

الفصل الثالث: تحدثت فيه عن أثر القرآن في البنية المعنوية للشعر الجزائري.

خاتمة: خرجت فيها ببعض النتائج التي وقفت عليها بعد دراستي لهذا الموضوع.

وهذه خلاصة لما جاء في متن الرسالة الموسومة بعنوان:**{أثر القرآن في الشعر الجزائري ما بين القرنين السابع والثاني عشر الهجريين}.**

مـدخـل: الحياة العلميّة و الأدبيّة في الجزائر ما بين القرنين السابع والثاني عشر الهجريين.

إنّ الحديث عن الشّعر الجزائري وتأثُّره بالقرآن، يؤدّي بنا إلى الحديث عن الحياة العلميّة والأدبيّة التي عرفتها الجزائر ما بين القرنين السابع والثّاني عشر الهجريين لمعرفة الظروف التي نشأ وتطوّر فيها هذا الشعر، ومعرفة المؤثّرات التي أثّرت فيه من ناحية الأغراض والخصائص والمميِّزات.

وبما أنّه يصعب الإلمام بجميع مناحي الحياة العلميّة والأدبيّة في الجزائر ما بين القرنين السابع والثّاني عشر الهجريين-لأنّ هذه الفترة تتجاوز الخمسة قرون- رأينا تقسيم هذه الفترة إلى عصرين مُتمايزين من حيث مظاهر الحياة العلميّة وخصائصها.

وقد اشتملت هذه الفترة (7-12هـ) في الجزائر على عصرين:

- عصر الحكم الزيّاني: ما بين القرنين السابع و التّاسع الهجريين.
- عصر الحكم التُّركي: ما بين القرنين التّاسع والثّاني عشر الهجريين.

***1*) الحياة العلميّة والأدبية في العصر الزياني:**

قد كانت الحياة الأدبيّة في القطر الجزائري في عصر الحكم الزيّاني مزدهرة ازدهارا كبيرا، لاهتما م الحكّام الزيّانيّين بإنشاء المدارس وتدريس العلم وإنشاء المكتبات العامّة التي كانت تحتوي نفائس الكتب في شتّى فنون الأدب العربي. ومن التّآليف التي كانت تُدرَّسُ في ميدان الأدب نذكر: كتاب العمدة لابن رشيق،

والعقد الفريد لابن عبد ربه، وزهر الآداب للحصري القيرواني، والكتاب لسيبويه، والأغاني للأصفهاني، وشعر المعلّقات والمعرّي والمتنبّي.

وقد بلغ الأدب في هذا العصر ذروته القصوى وعصره الذهبي، فقد نبغ في الأدب واللغة كثير من الأدباء والشّعراء الجزائريّين نذكر منهم:

- أبو عبد الله محمد بن خميس التّلمساني (650-708هـ)، كان شاعرا مٌجيدا، برع في أغراض عديدة كالغزل والمدح والتصوّف.وكان شأوه لا يُلْحق في الشّعر.[1]
- أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني (710-781هـ)، كان خطيبا بارعا، مُتّسع الرواية، مُشاركا في فنون من أصول وفروع وتفسير، له مؤلّفات عديدة منها: المسند الصحيح الحسن في التّراجم، و بُرح الخفاء في شرح الشّفاء، وله ديوان شعر في مدح الرسول صلى عليه آله وسلم أسماه "جنى الجنّتين في مدح الليلتين".[2]
- أبو عبد الله محمد بن يوسف الثّغري، وُلد بتلمسان ودرس بها، كان شاعر البلاط الزيّاني، له قصائد في المولديّات، وله مدائح في السلطان (أبي حمو الثاني) و(أبي تاشفين الثاني) و(أبي زيان ت:801هـ)، توفي الثغري حوالي سنة(805هـ).[3]

2) <u>الحياة العلمية والأدبية في العصر العثماني</u>: امتدّ العهد العثماني في الجزائر أزْيَد من ثلاثة قرون، ولم يكن الحكّام الأتراك يُحسنون اللغة العربيّة، ولا يهتمّون بالعلم والتّدريس، بل كانوا مُنْشغلين بالأمور الحربيّة والصّراعات الدّاخليّة مع بعضهم البعض، كمّا عمَّ الفساد والظلم. وكان هذا الجوّ المشحون بالاضطرابات غير صالحٍ لازدهار العلم والأدب، ممّا أدّى إلى هجرة العلماء بسبب الأذى الذي لَحِقَ ببعضهم، كما أدّى إلى ظهور التصوّف والزوايا والاعتقاد بالخرافات.[4]

وقد كانت الحياة الأدبيّة في هذا العصر دينيّة محضة، فقد كان الشّعراء والأدباء فقهاء بالدّرجة الأولى، ولقد كان للجزائريّين في العهد العثماني إنتاج أدبيّ لا بأس به من نثر وشعر، وقد تناول الشّعراء في أشعارهم شتّى الأغراض التي كانت مُتداولة، كالمديح، الرّثاء، والشّعر الدّيني، والشّعر الملحون. [5] وقد غلب على هذه الأغراض الشعر السياسي أو ما يُسمّى بشعر الجهاد، نظرا للحروب التي كانت ناشبة بين المسلمين والإسبان الذين كانوا يحتلّون آنذاك العديد من الشواطئ الجزائريّة. أمّا النّثر فتمثّل في تدبيج الرّسائل،[6] وإنشاء الخُطب،[7] وتسجيل الرّحلات،[1] والمقامات، والإجازات العلميّة.[2]

---

[1]) **عن ترجمته ينظر**:(الرحلة المغربية، محمد العبدري، ت:محمد الفاسي، ص11، الرباط، 1968م)./ (العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلاميّة ما بين القرنين (3- 14هـ)، عمار هلال، ص24، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م).

[2]) معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص 125، بيروت، ط2، 1980م. / التعريف بابن خلدون، ص94.

[3]) **ينظر**: (زهر البستان في دولة بني زيان، مؤلف مجهول، السفر الثاني، ورقة 53 وجه، مخطوط خاص) و (بغية الرواد، ج1، ص 60) و (تاريخ الأدب الجزائري، محمد الطمّار، ج1، ص 177، الجزائر، 1969م).

[4]) إ رشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، محمد شاوش رمضان، ج3، ص 406، الجزائر، 2001م.

[5]) **عن الشعر الجزائري في هذه الفترة، ينظر**: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 78 وبعدها.

[6]) **عن الترسّل في هذه الفترة، ينظر**: (تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 188)و (التحفة المرضيّة، ص 170- 185).

[7]) **عن الخطابة في هذه الفترة، ينظر**: (تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 202 وبعدها) و (التحفة المرضيّة، ص 197-198).

فلقد أكثر العلماء الجزائريّون من كتابة الرسائل، لطبيعة علاقاتهم الاجتماعيّة، ولقد تميّز كثير منهم بكتابة الرّسائل الجيّدة، نذكر منهم:عبد الكريم الفكّون القسنطيني،[3] وأحمد المقري التلمساني.[4]

الفصل الأول: الشعر الجزائري أغراضه وخصائصه.

مبحث: أغراض الشعر الجزائري

1) المديح النبوي: قد كَثُرَتْ قصائد المديح النبويّ عند شعرائنا الجزائريّين حتّى أصبحت ميزة لديهم وخاصيّة في أغراض شعرهم، أمثلة ذلك عديدة نذكر منها:

قصيدة مديح للشاعر أبي محمد عبد المنعم بن محمد الغسّاني الجزائري(ت:670هـ)، قال في أبيات منها:

لكُلِّ نبـــيٍّ دعـــوةٌ مُـــستجابـــةٌ وسيّدهم طُرّاً خبّـــــاها لأمّتـــــه
إلى يوم لا يُغني عن المرء منطقٌ فصيحٌ ولا يُدلي البليغ بحُجّتـــــه
..وكلّ نبيٍّ يســـــأل الله نفســـــه ويضرب صفحا عن سؤالٍ لأمّته
خلا شفيعٌ فينا كريمٌ مُشـــقّـــــــعٌ به سيشمل الله العباد برحمتـــــه
..فمن ذا له فضلٌ كفضل محمّـــد على أمّة أو مَن له مثل نعمتـــه[5].

2) الزهد:يُعتبر الزّهد من أبرز الأغراض– بعد المديح النبويّ– التي لقِيتْ اهتماما واضحا من قبل الشّعراء الجزائريّين، فهم خَبروا الحياة وعرفوا حقيقتها، فاحْتَقَروها وحذّروا غيرهم من غُرورها، فكانت معاني أشعارهم تدور حول ما جاء في القرآن الكريم من حثٍّ على الابتعاد عن الدّنيا وزخرفها، وتعظيم الآخرة وذكر نعيم الجنّة. ومن أبرز الشّعراء الذين نظموا في هذا الغرض نذكر:

الشّاعر أبو محمد عبد الله بن عمر القلعي الجزائري(ت:669هـ)، والذي له قصائد كثيرة في الزّهد وذكر الموت، يقول في إحداها وفيها شيء من الحكمة:

الخُبْرُ أصْدقُ في المرْأى من الخَبَرِ فمَـــهِّـــدِ العُذْرَ ليس العين كالأثر
واعْمل لأخرى ولا تبْخَلْ بمَكْرُمـــة فكـــلّ شيءٍ على حَـــدٍّ إلى قـــدر
وخَـــلِّ عن زمنٍ تُـــخْشَى عـــواقبه إنّ الزّمان إذا فكَّـــرْتَ ذو عِـــبَرِ

---

[1]) **عن الرحلات في هذه الفترة، ينظر:** (رسالتنا: أدب الرحّالة الجزائريين، ص 23 وبعدها) و (عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، محمد أبو راس الجزائري، ج1، ص 9، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1633) و (الجزائر من خلال رحلات المغاربة، مولاي بالحميسي، ص 20-21، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م).

[2]) **عن الإجازات العلمية، ينظر**: نفح الطيب، ج3، ص 48 وبعدها.

[3]) هو أبو محمد عبد الكريم بن محمد الفكّون القسنطيني(ت:1073)،كان إمام ركب الحجّ الجزائري، له ديوان شعر في المدائح النبويّة، وله مؤلّف "منشور الهداية"**.ينظر**:التحفة المرضيّة، ص 74.

[4]) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني(ت:1041هـ)، من أبرز علماء الجزائر العثمانية، له تآليف عديدة منها: نفح الطيب، وأزهار الرياض، وروضة الآس، وغيرها.**عن حياته وآثاره، ينظر** : (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد المحبّي ، ج1، ص 311، دار صادر ، بيروت) و (تراجم إسلامية شرقية وأندلسيّة، عبد الله عنان، ص 245، دار المعارف، القاهرة، 1947م) و (سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، علي ابن معصوم، ص 589، مصر، 1324هـ).

[5]) عنوان الدراية، أحمد الغبريني،ت:رابح بونار، ص 124، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

وكــلّ حــيٍّ وإن طالت ســلامتُه يغْتاله الموت بين الورْدِ و الصّدر

تنافسَ النّاسُ في الدّنيا وقد علِــموا أنّ المُــقام بــها كاللّمح بالبصر.[1]

3) المدح:وقد حاول الشّعراء الجزائريّون أن يمدحوا كلّ شخص بما يناسبُهُ من معاني، فقد فرّقوا بين المعاني التي يُمدَحُ بها ملك أو أمير، وبين المعاني التي يُمدح بها فقيه أو عالم.

ففي القرن الثامن الهجري كان المولى أبو حمّو موسى الثّاني من أكثر الملوك مدحا من قِبل الشّعراء، فقد كان شاعرا مُهتمّا بالشّعر والشّعراء، وقد خصّ نفسه بشعراء يمدحونه ويذكرون فضائله وآثاره، وممّن مدحه من الشّعراء نذكر:

الأديب أبو القاسم بن ميمون السّنوسي التّلمساني الذي مدحه بقصيدة قال فيها:

أطْلِقْ عنانك لا تنــظُــر إلــى أحد كفى حَسُودك ما يلقى من الكمــــد

..أنت الخليفة بــعــزّ الله حُــــجّته في الأرض أفضل مَنْ أومي له بيد

حُزْتَ الفضائل يا موسى بــأجْمعها لم تُــبْــقِ منهــا نصيبا ما إلى أحد

أقديك بالرّوح من عين الحسود ومن عين الوَدود وقُل بالمــال والولــــد

إن كنتَ بالأمْسِ لا أهــلٌ ولا ولــدٌ فاليوم أصْبحْتَ بين الأهل في البلد.[2]

4) الفخر: الفخر هو عدُّ المآثر والاعتداد بها، كالافتخار بالنّسب وعزّة القبيلة وكثرة العدد.[3]

والفخر هو التمدّح بالخصال والمُباهاة بها، كالكرم والعلم، وهو تطاول الشّاعر على غيره بتعديد مناقبه ومناقب قومه.[4]

من ذلك –مثلا– افتخار الشّاعر محمد بن خميس التّلمساني(708هـ) في قصيدته الرائعة:

عجباً لها أيذوق طعمَ وصالــها مَنْ ليس يأمل أن يمــرَّ ببالهــا

و التي فيها يقول:

أنا من بقيّة معشرٍ عَــرَكَتْــهُم هذي النّوى عرك الرّحى بثفالها

أكْرِم بها فئة أُريق نجيــــعها بغيا فراق العين حســن مآلهــا

حُلّتْ مُدامة وصلها وحُلّت لهم فإن انتشوا فبحُلــوها وحلالهــا[5].

مبحث: خصائص الشّعر الجزائري.

امتاز الشّعر الجزائري بفخامة المعاني وقوّتها، وصدق الأداء وخصب الخيال، ومتانة الأسلوب، وجزالة اللفظ. ومن المعلوم أنّ الأغراض التي يطرقها الشّاعر هي التي تفرض عليه –في كثير من الأحيان– لغة

[1]) عنوان الدراية، الغبريني، ص 95- 97.
[2]) زهر البستان، مؤلف مجهول، ج2، ص 26 ظهر.
[3]) مختار الصحاح، أبو بكر الرازي، ت: مصطفى البغا، ص 316، ط4، دار الهدى، الجزائر، 1990م.
[4]) التعريفات، الشريف الجرجاني، ص 124، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.
[5]) نفح الطيب، المقّري، ج5، ص 368.

معيّنة تتماشى مع طبيعة الموضوع.فتتّخذ اللّغة عنده مستويات فنيّة معيّنة، فيتأرجح مستواها حسب الغرض الذي يتوخّاه، فتتفاوت تعابيره وألفاظه بين غرض وآخر في القصيدة الواحدة، وتتمايز مستويات لغته بين الصّعود والهبوط.

لهذا جاءت لغة الشّعراء الجزائريين وأساليبهم تابعة للأغراض التي كانوا يخوضون فيها، ففي غرض المدح والفخر تتّسم بالجزالة والفخامة، مثلما نجده عند أبي حمّو الثاني في قوله يفتخر بنفسه:

وكم سقيت كؤوس الموت صافية *** وقد حميت بحدّ السّيف أوطاني

وكم قهرت عدوّا ظالــما غاشمــا *** يوم اللّــقاء بأظعــان و أطعان [1]

الفصل الثاني: أثر القرآن في البنية الشّكليّة للشّعر الجزائري.

القرآن معجزة الدّهر، وكتاب الزمان، ودستور الحياة، يستمدّ منه المسلمون قوّتهم ونشاطهم وعِزّتهم، وقد كانت عِنايتهم به فائقة فتنافسوا في حفظه وفهمه والاقتباس منه. فبعد انتشار الإسلام في الجزائر، تسابق الجزائريّون للدخول فيه، وتنافسوا في تعلّم اللّغة العربيّة وحفظ القرآن، فلا نجد عالما أو أديبا إلاّ وقد حفِظ القرآن قبل أن يتّجه إلى علمٍ من العلوم. فوجد أدباؤنا ولا سيّما الشّعراء آفاقا جديدة أبدعوا فيها، مُستنيرين في ذلك إلى حدٍّ كبير بهَدْي القرآن الكريم، مُستعِرين صُوره وآياته لتوْشِيح أشعارهم، فصُبِغت أشعارهم بصبِغة دينيّة.

إذاً، فقد وجد شعراؤنا في القرآن الكريم ميادين جديدة أمْكنهم التطرّق إليها، وآفاقا واسعة لم تُتَحْ لهم في مصادر أخرى، فمضى كثير منهم ينظمون أشعارهم مُستضيئين إلى حدٍّ كبير بما جاء في القرآن. فنجد في أشعارهم –على اختلاف أغراضها– صدى واسعا لأثر القرآن بآياته، وألفاظه، وتعابيره.

مبحث: أثر الألفاظ القرآنية في الشّعر الجزائري.

يُعتبر القرآن الكريم مصدرا هامّا للأدباء والشعراء يغترفون منه ألفاظهم التي يستخدمونها في التعبير عن أفكارهم، وآرائهم، وعواطفهم. وقد تجلّى التّأثر بالألفاظ القرآنية في الشّعر الجزائري في الأوجه التالية:

1) أسماء الله الحسنى:قال تعالى:{ وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فادْعُوهُ بِهَا}.[2]

فمن أسماء الله التي تناولها الشاعر الجزائري في شعره، لفظ الجلالة (الله).

---

[1]) أبو حمو الزياني، حاجيات، ص 314.

[2]) سورة الأعراف: آية 180.

فالشاعر الجزائري، قد استعمل لفظ (الله) تأثراً بما في جاء في القرآن، في قوله تعالى:{ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي}.[1]

من ذلك قول الشاعر محمد بن أبي زيد التلمساني في قصيدة له في الزهد:

اللهَ قُلْ ودَعِ الوجود وما حَوَى *** إنْ كنْتَ مرتاداً بلُوغ الكمالِ[2]

وفي قول الشاعر ضيف الله بن أبّ المزّمري(ت:1160هـ):

الله ربّي لا إلّه سِواه*** ما خَاب مُضْطرّ دعا موْلاه[3]

2) أسماء القرآن: ومن بين الألفاظ القرآنية التي كَثُرَ استعمالها في الشعر الجزائري، ألفاظ دالّة على أسماء القرآن، منها لفظة(القرآن)، والتي تدلّ على الكتاب المنزّل على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

وقد استعمل الشاعر الجزائري لفظة (القرآن) في معناها القرآني في عدّة مواضع منها:

قول الشاعر أبو عبد الله محمد القلعي الجزائري(ت:669هـ)، وهو يتحدّث عن يوم القيامة:

..وذلك في القرآن أوْضَحُ حجّة *** وما ثَمَّ إلاّ جنّة أو جهنّم[4]

وفي قول الشاعر محمد بن يوسف الثغري، حين تحدّث عن معجزات الرسول(ص):

وكم لرسول الله من آيةٍ سَمَتْ *** على الألْفِ والقرآن آيته الكُبْرى[5]

3) أسماء سور القرآن: قال تعالى:{ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ}.[6]

فالسّورة هي قرآن يشتمل على آي ذوات فاتحة وخاتمة، وأقلّها ثلاث آيات.[7]

وقد وردت بعض أسماء القرآن في الشعر الجزائري، كقول الشاعر عفيف الدين التلمساني(ت:690هـ)،[8] في حديثه عن الحضرة الصوفية:

..دُعُوا إلى باب علوة كرما *** وجهها بالجمال يحتجبُ

فقدّموا سجدة وهم زُمر *** لغافر سبّح اسمه الأدب[9]

فقد استعمل الشاعر لفظة (سجدة) التي تدل على اسم سورة من سور القرآن، وفي نفس الوقت قصد بها عملية السجود لله تعالى، ونفس الأمر بالنسبة للألفاظ الأخرى.

مبحث: أثر الفاصلة القرآنية في الشّعر الجزائري

---

[1]) سورة طه: آية 14.
[2]) تعريف الخلف برجال السالف، الحفناوي، ج2، ص 168.
[3]) الحركة الأدبية في منطقة توات، ص 310.
[4]) عنوان الدراية، ص 95.
[5]) تاريخ بني زيان، ص 215.
[6]) سورة البقرة: آية 23.
[7]) القرآن الكريم والدراسات الأدبية، ص 36.
[8]) هو أبو الربيع عفيف الدين سليمان بن عبد الله الكومي التلمساني، ولد بين سنتي (610- 630هـ)، كان شاعرا مجيدا ذا توجّه صوفي، ارتحل إلى دمشق وتوفي بها سنة 690هـ. **ينظر**: العفيف التلمساني، د.عمر موسى، ص 12، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1982م.
[9]) ديوان عفيف الدين التلمساني، ت: العربي دحو، ص 10، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م.

الفاصلة القرآنية من أهمّ الظواهر الصّوتية التي تميّز بها القرآن الكريم، ولا تكاد تخلو سورة منه. وقد اعتبر الرّماني أنّ الفواصل تمثّل إحدى وجوه الإعجاز القرآني.[1]

فنجد أحيانا أنّ الشّاعر قد أخذ قوافي قصائده من فواصل وردت في نفس السّورة، وأحيانا أخرى يأخذها من سُوَر مُتعدّدة. وربّما وردت الفاصلة الواحدة في عدّة سور من القرآن الكريم.

فمن الحروف التي نجدها كرويّ في الشّعر الجزائري، حرف النّون.وذلك في قول الأديب أحمد المقري التلمساني(ت:1041هـ) يمدح الرسول (ص):

فَلَقَدْ كان عَلَـــــى غَيْرِ هُـدًى *** مَنْ يُسوّيـــــهمْ بربّ العَـالَمِين
ما لَنَا من مُخَلّصٍ نَـأتي بِـــهِ *** غير جَاهِ المُصْطفى الهَادِي الأمين
فيَـمِـيـنُـنَا إنّ مَـن يهْـواهم *** ليَـكونـنّ مِـــنْ أصْحَابِ اليمين
وسْـط جنّات تُـحيِّـيه بـــها *** آنِسَاتٍ قاصِرَاتِ الطَّـرْفِ عِيـن
بقوارير لُـجَـيْـن شُـرْبُـــه *** وأباريقَ وكأسٍ مِـن مَـعِـيـن.[2]

فالشّاعر جاء بكثير من القوافي التي نجدها كفواصل في القرآن. ففي البيت الأول، نجد أنّ الشّاعر لم يكتفِ بفاصلة الآية القرآنية، بل أخذها كلها. فعَجُز البيت مأخوذ من قوله تعالى:{تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ}.[3]

أمّا عبارة (بربّ العالمين) الواردة في آخر البيت، فقد جاءت كفاصلة في عدّة آيات من عدّة سُوَر، وذلك في قوله تعالى: { أَئِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ}.[4]

وقوله تعالى:{ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ}.[5]

أمّا في البيت الثاني، فنجد قافيته (الأمين) مأخوذة من عدّة فواصل قرآنية، كقوله تعالى:{وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ}.[6] وقوله تعالى:{ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}.[7]

وجاءت قافية البيت الثالث (اليمين)، فواصل في عدّة آيات، منها قوله تعالى: {وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ}.[8]

وفي قوله تعالى: {عُرُباً أَتْرَاباً *لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ * ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ}.[9]

---

[1]) نقلا عن: المعجزة القرآنية، ص 257.
[2]) نفح الطيب، المقري، ج1، ص 111.
[3]) سورة الشعراء: آية 97- 98.
[4]) سورة الصافات: آية 86- 87.
[5]) سورة الأعراف: آية 120- 121.
[6]) سورة الشعراء: آية 192- 193.
[7]) سورة القصص: آية 26.
[8]) سورة الواقعة: آية 90- 91.
[9]) سورة الواقعة: من الآية 37 إلى 40.

وفي البيت الرابع نجد أنّ معظم عَجُز البيت (قاصرات الطّرف عين) آية قرآنية، فلم يكتف الشّاعر بفاصلة الآية فقط، بل اقتبس الآية كلها، من قوله تعالى يصف لنا الجنّة ونعيمها: {لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ}.[1]

الفصل الثالث: أثر القرآن في البنية المعنوية للشعر الجزائري

مبحث: أثر المعاني القرآنية في الشّعر الجزائري.

إنّ اللاّفت للانتباه في الشّعر الجزائري، الحضور القويّ للمعاني القرآنية فيه، حيث كان شعراؤنا يلجؤون إلى القرآن يستلهمون منه أفكارهم وآراءهم.

ومن بين المعاني القرآنيّة التي استأثرت باهتمام شعرائنا، نذكر ما يلي:

1) الإيمان بالله:

الإيمان بالله هو أوّل علاقة بين العبد وربّه[2]، وهو« الإذعان والتّصديق المطلق بالقلب والإقرار باللّسان».[3]

فنجد الشّاعر إبراهيم التّازي(ت:866هـ)، يستلهم طائفة من المعاني القرآنية لتحفيز النّفوس على حبّ الله تعالى وذكره، والتّمسّك بدينه قائلا:

حسامي ومنهاجي القويم وشرعتي *** ومنجاي في الدارين من كلّ فتنة
محَـبّـة ربّ العالميـن وذكْـره *** على كلِّ أحياني بقلبـي ولهجتـي
وأفضلُ أعمَالِ الفتى ذِكْـرُ رَبِّـه *** فكُـن ذاكرا يذْكُـرك ربّ البرية[4]

2)القضاء والقدر: لا يكتمل إيمان الإنسان حتّى يُؤمن بقضاء الله وقدره، خيره وشرّه.[5] قال تعالى:{ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}.[6]

وقد كان الشّاعر الجزائري مؤمن بقضاء الله وقدَره، مُذْعِنٌ له لا يتَبَرّم ممّا نزل به. وفي هذا المعنى يقول الشّاعر أحمد المناوي الورنيدي(ت:930هـ):

رضِيتُ بقِسم الله ثُـمّ اختياره *** وجنّبت نفسي السّعي حول اغتياله
وفوّضت أمري للذي هو عالم *** بأسباب إصلاح الفتى واخْتِبَـاله
وأيْئست قلبي من رجا غير ربِّهِ *** لجَلْبِ مُنَاه أو لسَلْبِ اعْتِلاِلِـه[7]

وبما أنّ قضاء الله لا مفرّ منه ولا اعتراض عليه، يقول الشّاعر ابن خميس التّلمساني:

---

[1]) سورة الصافات: آية 47- 48.
[2]) **عن الإيمان بالله وشروطه، ينظر**: صحيح البخاري، باب الإيمان، ج1، ص 11 وما بعدها، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.
[3]) معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، محمد إسماعيل إبراهيم، ج2، ص 47، دار الفكر العربي، بيروت، ط2، 1969م.
[4]) البستان، ص 58.
[5]) **من حديث رواه عمر بن الخطاب، ينظر**: صحيح مسلم، ج1، ص 129، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.
[6]) سورة التوبة: الآية 51.
[7]) البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ابن مريم المديوني، ص8.

وما لامرئ عمّا قضى الله مهرب *** ولا لقضاء الله نقض ولا فسخ[1]

مبحث: أثر الأسلوب القرآني في الشّعر الجزائري

1) الأسلوب الخبري: إنّ تأثير الأسلوب الخبري القرآني في الشّعر الجزائري كبير، فمن الأساليب الخبريّة في القرآن الكريم، حديثه عن أهوال يوم القيامة وما سيكون فيها.

فممّا يُخبرنا به القرآن، أنّ الإنسان سينسى أباه وأمّه وأهله جميعا من هول ما يراه في ذلك اليوم. قال تعالى:{ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ}.[2]

فالشّاعر عبد المنعم الغساني الجزائري (ت:670هـ) في حديثه عن يوم القيامة، استعمل نفس أسلوب القرآن في قوله:

لكُـلِّ نبِـيّ دعوة مُـسْـتجابـة *** وسَيّـدهـم طُـرًّا خَبَّـاها لأُمّـتـه
إلى يوم لا يغني عن المرء منطق *** فصيحٌ ولا يُـدلي البليـغ بحُـجّـته
ويوم يَـفِـرّ المرء مِن ولـدٍ لـه *** حبيبٍ ولا يَـجْـزي أبٌ بأُبُـوّتِـه[3]

2) الأسلوب الإنشائي: ينقسم الأسلوب الإنشائي إلى قسمين: طلبي، كالأمر والاستفهام والنداء. وغير طلبي، كالتعجّب والقسم.

* الأمر: يُطالعنا أسلوب الأمر في الشّعر الجزائري خصوصا إذا كان الشّاعر في معرض النّصح والتّحذير. فالشّاعر عبد المؤمن المديوني في حديثه عن يوم القيامة يقول:

اقرأ كتابك وانظر ما جنيت به *** اليوم أجزي الورى كل بما كسبا[4]

فالقارئ لهذا البيت يتوجّه مباشرة إلى أسلوب الأمر في قوله تعالى:{ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً}.[5] فالله سبحانه في الآية، يُخاطب عبده لقراءة كتاب أعماله، حتّى يُحاسب نفسه بنفسه، فاقتبس الشّاعر هذا الأسلوب ليُعبّر به عن نفس المعنى القرآني.

* الاستفهام: يُعدّ الاستفهام من الأساليب القرآنية التي تأثّر بها الشّعراء الجزائريّون، فقد يُخاطب الله عباده بهذا الأسلوب، لا لأنّه ينتظر منهم جوابا– كما هو الأصل في وضع الاستفهام – بل ليَحْمِلَهُم على الإقرار بأمر من الأمور، والاعتراف به.

فنجد المولى أبي حمو الثّاني حين يفتخر بنفسه يقول:

ألم تر إذ جاء السبيع قاصدا *** إلى بابنا يبغي التماس المكارم[6]

---

[1]) بغية الرواد، يحي بن خلدون، ج1، ص 110.
[2]) سورة عبس: الآيات 34- 35- 36.
[3]) عنوان الدراية، الغبريني، 124.
[4]) زهر البستان، ورقة 45 وجه.
[5]) سورة الإسراء: الآية 14.
[6]) أبو حمو، حاجيات، ص 317.

فهو في هذا البيت استعمل أسلوبَ استفهامٍ ورد بكثرة في القرآن الكريم، حين يُريد الله جلب انتباه عباده ودعوته لهم إلى التأمّل في ملكوته، أو النّظر في عاقبة الذين ظلموا، وقد تكرّر هذا الاستفهام أكثر من ثلاثين مرّة في القرآن، من ذلك قوله تعالى:{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ}.[1]

* القســــــــــم: أسلوب القسم عامّ في أسلوب البشر، يُستخدم من أجل تأكيد أمر، أو إثبات شيء. وقد أقسم الشاعر ابن علي الجزائري بالرّيحان في قوله يفتخر بنفسه:

قسما بريحان العقيق وبانه *** لقد انقضى غزلي على غزلانه[2]

وقد أكثر الشّاعر الجزائري من استخدام أسلوب القسم بصيغة (تالله)، وذلك في قول المولى أبي حمو الثاني، وهو يُعبّر عن حبّه للنبيّ (ص):

وتالله مالي غيركم إنّ هجركم *** فهجركم يُردي ووصلكم يُحيي[3]

مبحث : أثر الصّورة القرآنية في الشّعر الجزائري.

لقد وجد الشاعر الجزائري نفسه إزاء رصيد هائل من الصّور في القرآن الكريم، صُورٌ ثريّة بإيحاءاتها. فلا نكاد نجد صورة في القرآن الكريم إلا وقد أخذها الشعراء واستفادوا منها في تصوير أفكارهم.

وقد ظهر تأثّر الشّعر الجزائري بالصّورة القرآنية في الوجوه التالية:

صورة الجنّة: لقد كَثُرَ الحديث عن الجنّة في الشّعر الجزائري، حيث استفاد الشّاعر من التّصوير القرآني لنعيمها وظلالها، من ذلك قول الشّاعر محمد الإدواعلي(ت:1198هـ) في الاستغفار وطلب الجنّة:

وارحم عبيدا جوارا منك مطلبه *** في جنّة سُـــــورها درّ وعقيان

فيها من الحور أتراب كواعبها *** نجل العيون كأنّــهن غِـــــزلان

قصورهنّ قصور فوقها غرف *** فيها من المسك والكافور والكثبان[4]

ففي البيت الثاني يستمدّ الشاعر صورته من قوله تعالى يصف الجنّة:{ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً * حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً * وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً * وَكَأْساً دِهَاقاً * لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا كِذَّاباً * جَزَاء مِّن رَّبِّكَ عَطَاء حِسَاباً}.[5] وفي البيت الثالث نجد وصفا لغرف الجنّة مستمدّا من قوله تعالى:{لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ}.[6]

---

[1]) سورة إبراهيم : الآية 19.
[2]) أشعار جزائرية، ص 36.
[3]) أبو حمو، حاجيات، ص 345.
[4]) الحركة الأدبية في منطقة توات، ص 79.
[5]) سورة النبأ: من الآية 31 إلى 36.
[6]) سورة الزمر: الآية 20.

* صورة الشّيب: تردّدت صورة الشّيب على ألسنة الشّعراء الجزائريّين تعبيرا منهم عن الكِبَر والشّيخوخة، أو تعبيرا منهم عن حال النّاس يوم القيامة حين تشيب رؤوسهم من هول الموقف. فظهور الشّيب عند الشاعر عبد المؤمن المديوني يذكّره بقُرْب أجله، ذلك في قوله:

جاءَتْ سُعَادُ بوَصْلٍ بَعْدَ ما ذَهَبا *** غَضُّ الشّبَابِ ولاَحَ الشّيْبُ والتَهَبَا[1]

فالشّاعر عبّر عن صورة الشّيب مقتبسا تصوير القرآن في قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً}.[2]

مبحث : أثر القصص القرآني في الشّعر الجزائري.

لقد استفاد الشّاعر الجزائري من الصُّوَر التي وردت في سياق القصَص القرآني، فأشار إليها في شعره لتأدية المعاني التي كان يُريدها، من بين هذه القصص؛ قصص الأنبياء، وقصص الأمم الغابرة، وسيرة الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم).

* قصّة يوسف: احتلت قصّة النبيّ يوسف (عليه السّلام) مكانة هامّة في الشّعر الجزائري، بما تضمّنتْهُ من أحداث، فالشّاعر حين كان يُواجه محنة سببها حُسّاده ومُنافسوه، كان يعود إلى قصّة سيدنا يوسف ليستعين بما جاء فيها، للتّعبير عن عواطفه ومشاعره.

فقد عبّر الشّاعر مختار الكنتي(ت:1226هـ) عن مثل هذه الحالة في قوله موجّها كلامه إلى حُسّاده:

تناصرت الأعداء من كل جانب *** عليّ فحسبي من له الخلق والأمر
وإنّي وإيّاكم كإخوة يوسف *** أرادوا به شرّا فحاق بهم شرّ
فتمَّتْ عليه نعمة الله بعدهُم *** فسيقوا إليه بعدما مُلِكت مصر
أقرُّوا له بالفَضْلِ بعد ظُهوره *** عليهم فأغضى إنّه السيّد الحر
كذلك صُنْعُ الله في كُلّ ماجد *** تكون له العقبى وإن مسَّه الضّر[3]

فقد شبّه الشّاعر نفسه في البيت الثاني بالنبيّ يوسف، وشبّه أعداءه بإخوة يوسف الذين كانوا يكيدون له حسداً من عند أنفسهم، وغيرة منهم. فقد استلهم هذا المعنى من قوله تعالى :{لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ * إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ * اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ *قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ }.[4]

خاتـــــــمـــــة:

[1]) زهر البستان، ورقة 45 وجه.
[2]) سورة مريم: الآية 4.
[3]) الحركة الأدبية في منطقة توات، ص 58.
[4]) سورة يوسف: الآيات 7- 8- 9 – 10.

جملة من النتائج المستخلصة، وهي:

* نلاحظ حضورا قويا للمعاني القرآنية في الشعر الجزائري، كالإيمان بالله، والقضاء والقدر، والحياة والموت.

* استعان الشاعر الجزائري بالأساليب القرآنية، كأسلوب النداء، والقسم، والاستفهام، ما زاد أسلوبه روعة وجمالا.

* استعان الشاعر الجزائري بصور من القرآن، للتّعبير عن حالات نفسيّة وعاطفية. فتفاعل مع هذه الصّور وأعْجِب بها.

* كان الشاعر يشير أحيانا إلى قصص وردت في القرآن للتّعبير عن حالة واقعية، ربما يكون قد عايشها، مثل قصة سيدنا يوسف في الحسد، وقصة سيدنا أيوب في الصبر.

عينة من المصادر والمراجع المستعملة

* أثر القرآن في الأدب العربي، ابتسام الصفار، ج1، دار الندوة، بيروت، 1951م.

* أثر القرآن في الشعر الأندلسي، محمد العاني، دار الشؤون الثقافية، بغداد،2002م.

* أشعار جزائرية، أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م.

* تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

* التبيان في علوم القرآن، محمد الصابوني، دار الإرشاد، بيروت، 1970م.

* الشعر الصوفي القديم في الجزائر، مختار حبار، د م ج، الجزائر، 1997م.

* معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، بيروت، ط2، 1980م.

* نفح الطيب، المقري،ت: إحسان عباس، ج2، دار صادر، بيروت، 1968م.

* شعر الفقهاء في المغرب العربي، دكتوراه دولة، أ: محمد مرتاض، جامعة تلمسان، 1994م.

إنّ موضوع هذه الرسالة هو التعرّف على مدى تأثير القرآن الكريم في الشّعر الجزائري ما بين القرنين السابع والثاني عشر الهجريين. هذا التأثير الذي ظهر جليّا في اقتباس الشاعر الجزائري من القرآن الكريم؛ اقتباسه من ألفاظه وفواصله، من أساليبه ومعانيه، من صُوَره وقَصَصه. وقد حاولت في هذه الرسالة الإجابة على الأسئلة التالية:

هل أحسن الشاعر الجزائري – في اقتباسه– التعامل مع القرآن الكريم، ومعانيه، وصُوره ؟ وهل استطاع توظيف اقتباساته القرآنية توظيفا جيّدا في شعره؟ وما مدى نجاحه في ذلك ؟

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم– الشعر الجزائري ما بين القرنين السابع والثاني عشر الهجريين– الأثر– الاقتباس.

Le sujet de cette thèse est l'influence du Coran sur la poésie Algérienne entre le 7° et le 12° siècle de l'hégire. Cette influence apparent clairement dans l'utilisation du poète algérien du vocabulaire, du style, du sens, de la vision, et des faits historique du Coran.

J'ai essayé à travers cette thèse de répondre aux questions suivantes :

Le poète algérien a-t-il su conservé les valeurs du Coran dans sa poésie ? et est qu'il a réussi dans ses emprunt ?

Mots clefs : saint coran- poésie algérienne entre le 7° et le 12° siècle de l'hégire- effet (influence)- emprunt (inspiration).

This memoir is an essay to know the contribution of the Quran in the Algerian poetry between the 7° and the 12° century. This contribution appears more clear in the poetry taken by the Algerian poet from the Quran with its meaning, styles, words, and events.

In this memoir I try to answer the following questions:

What are the main effects of Quran in the Algerian poetry? And did the Algerian poet go on with its meanings and styles? And if he was able to use this poetry taken from the Quran in a good way? And his success in this way ?

Key words: Quran – Algerian poetry between the 7° and the 12° century- effects/